Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 53, No. 8, 2026, 9824

Deanship of Scientific Research

Cebes's Paradox The problem of suicide in Cioran's philosophy

Abdullah.A.Omran *

Omar Al-Mukhtar University, Facult of Art, Department of philosophy, AL-byda, Libya.

Received: 23/11/2024
Revised: 2/1/2025
Accepted: 18/2/2025
Published online: 1/3/2026

* *Corresponding author:*
abdullah.ali@omu.edu.ly

Citation: Omran, A. (2026). Cebes's Paradox The problem of suicide in Cioran's philosophy. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *53*(8), 9824.
https://doi.org/10.35516/Hum.2026.9824

© 2026 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This study examines the issue of suicide as discussed by the French philosopher Emil Cioran, exploring the reasons behind his analysis and the ultimate goal of his philosophical inquiry. Was his approach purely theoretical, or was he seeking practical solutions? Additionally, the study investigates the methods he employed in analyzing this issue and evaluates the objectivity of his conclusions.

Methods: The research employs historical and descriptive methods to present Cioran's ideas and their connection to his personal experiences. A comparative approach is used to assess his influences, while a critical analytical method is applied to evaluate his arguments.

Results: The study concludes that Cioran's views on suicide exhibit significant inconsistency—at times endorsing it and at other times rejecting it. He failed to provide a concrete solution for confronting suicide, instead advocating for absurdism and equating life with death. Furthermore, his perspectives were influenced by reactions to his writings, leading him to adopt reconciliatory positions that justified his ideas without acknowledging their contradictions.

Conclusions: Addressing suicide from a philosophical, rather than psychological, lens, Cioran viewed life as inherently tragic, questioning its worth and the right to end it. He explored religious and psychological deterrents to suicide but failed to provide a coherent resolution, emphasizing the need for a broader philosophical approach beyond nihilism.

Keywords: The philosophy of Cioran , suicide ,life- Bain, Nothingness, Absurdism.

مُفَارَقَةُ سِيبَيس إشْكَالِيَّة الِانْتِحَارِفِي فَلْسَفَةِ سَيُوران

عبدالله علي عمران*

قسم الفلسفة، كليَّة الآداب، جامعة عمر المختار، البيضاء، ليبيا.

ملخّص

الأهداف: يهدف البحث إلى مناقشة إشكالية الانتحار عند الفيلسوف الفرنسي إميل سيوران، ومعرفة الأسباب التي دفعته لتحليل الإشكالية، وما الغاية التي كان يصبو إليها من وراء تحليله لها؟ هل هي مجرد التنظير الفلسفي؟ أم البحث عن حلول لها؟ وتحديد الآليات التي استخدمها في تحليل الإشكالية، ومدى موضوعية ذلك التحليل.

المنهجية: تم استخدام المنهج التاريخي والوصفي في عرض أفكار سيوران ومدى ارتباطها بأحداث حياته الشخصية، والمنهج المقارن لمعرفة مدى تأثره بمن سبقوه، والمنهج التحليلي النقدي خلال تقييم أفكاره.

النتائج: انتهى البحث إلى تأكيد أن أفكار سيوران حول إشكالية الانتحار كانت تعاني تذبذبا كبيرا، فهو يؤيده حينا ويرفضه حينا، كما أنه لم يجد حلا لمواجهة الانتحار سوى بالدعوة إلى العبثية والمساواة بين الحياة والموت، إضافة إلى أنه وقع تحت تأثير ردود الفعل التي ترتبت على نصوصه، مما جعله يصل إلى حلول تلفيقيه يبرر بها أفكاره دون الاعتراف بالتناقض.

الخلاصة: لقد ناقش سيوران الإشكالية من الناحية التنظيرية الفلسفية بعيدا عن الأبعاد النفسية، وينطلق في معالجتها من الفرضية التي تبناها أسوة ببقية المتشائمين، وهي مأساوية الحياة؛ حيث يطرح بعد ذلك السؤال حول ماذا إذا كانت جديرة بأن تعاش، ويناقش تبعا لذلك ما إذا كان من حق الإنسان أن يضع حدا لحياته لكي يتخلص من الألم والحزن، وحاول في السياق ذاته تحديد العوامل التي تحول بين الإنسان وبين القيام بفعل الانتحار، سواء كانت عوامل دينية أو نفسية، وعلى الرغم من فشله في تحليل إشكالية الانتحار إلا أنه نبه إلى ضرورة دراسة إشكالية الانتحار وفقا لرؤية فلسفية أكثر شمولية، تتجاوز النظر إليها من زاوية عدمية.

الكلمات الدالة: فلسفة سيوران، الانتحار، الحياة، الألم، العدم، العبثية.

مقدمة

على الرغم من أن الانتحار مرفوض دينيا واجتماعيا وترفضه الفطرة السليمة، ولا يتسق مع مع الغاية الإنسانية العليا، ويتعارض مع قوانين الطبيعة الإنسانية، التي تدفع الإنسان إلى الحفاظ على ذاته، والتكاثر والاستمرار في النوع، إلا أن الإشكالية تبدو من الناحية الفلسفية بوصفها (**مفارقة**) **Paradox** وذلك لكونها تستند إلى أدلة لا يمكن دحضها بسهولة، فهي تنطوي على مقدمات لا يمكن الشك في صحتها والتي تشير إلى أن الحياة لا تخلو من الصعاب والألم، وأن الموت هي نهاية حتمية لوجود الإنسان، وهو ما يسلب من الحياة أي معنى، ويجعلها غير ذات قيمة، ومن ثم تصل إلى نتيجة تبدو منطقية وفقا للمنطق السليم، وهي أن يعجل الإنسان بهذه النهاية المحتومة، ولا يقف متفرجا على حياته وهي تذيف كل صنوف الألم والمرض، وتتجسد المفارقة في أن هذه النتيجة يرفضها الحس المشترك السليم، وترفضها الفطرة البشرية.

ولقد حاول العديد من الفلاسفة التصدي لإشكالية الانتحار، التي فرضت نفسها بقوة في الحقبة المعاصرة، بعد شيوع أفكار العبثية والعدمية، فإشكالية الانتحار شديدة الصلة بإشكاليات فلسفية أخرى، مثل مأساوية الحياة وكيف أنها مملوءة بالبؤس والألم، إضافة إلى إشكالية الموت الذي يعد حدثا حتميا، كما يعد بمثابة نهاية لا تقل بؤسا عن الحياة نفسها.

وترتكز إشكالية الانتحار على عدة أسئلة فلسفية جوهرية، يأتي في مقدمتها السؤال الأزلي الذي طرحه الفلاسفة على مر العصور وهو "هل هذه الحياة القاسية جديرة بأن تعاش؟" فإذا كانت الإجابة بالنفي، فالسؤال المنطقي الآخر هو"هل يحق للبشر وضع حد لحياتهم؟" وإذا كان الجواب بالإثبات، فما الذي يجعل من الانتحار سلوكا نادرا؟ وينظر إليه البشر على أنه سلوك شاذ؟

وتبعا لذلك تباينت إجابات الفلاسفة فمنها ما اتفق مع الرؤية الدينية التي تحرم قتل النفس باعتبار أنّ حياة الإنسان ليس ملكا له أصلا، وأن الله الذي منحها له هو الأحقّ بالتصرف فيها، بينما اتكأ فريق ثان على المنظومة الأخلاقية، لكي يجعل من الانتحار فعلا يتنافى مع المبادئ الأخلاقية، لكونه يتعارض مع قيم الشجاعة التي تفرض على الإنسان مواجهة تحديات الحياة، أمّا الفلسفات الشمولية فاعتبرت أنّ الانتحار مخالف لمبادئ الدولة والقانون، فحياة الفرد ملك للدولة ورهينة تصرف الجماعة، وبذلك يكون الانتحار فعلا يعاقب عليه القانون.

ولم يخرج الفيلسوف الفرنسي سِيورَان (1911–1995) Emil Cioran عن الإرث الوجودي والعدمي بشكل عام، إلا أنّه كان أكثر دقة وتفصيلا، نظرا لأنه –كما هو الحال في بقية أطروحاته الفلسفية- يجعل من حياته وتجربته الفردية دليلا له في تنظيره الفلسفي، لذلك كانت أفكاره أكثر شمولية وتبسيطا وتذبذبا، فحينا يؤيد الانتحار وأحايين أخرى يعارضه.

والإشكالية الأساسية المراد معالجتها في سياق دراسة أفكار سيوران عن الانتحار، هي محاولة تتبع الأساليب المتباينة التي اتبعها سيوران لمعالجة الانتحار، لتأكيد أنه تناوله للإشكالية كان مرتبطا بظروف حياته الخاصة، التي تسيطر عليها التشاؤمية، فليجأ إلى التنظير الفلسفي العقلاني عندما يريد أن يؤيد سلوك الانتحار، ثم يعود إلى الأفكار الروحية والدينية عندما يريد دحضه، وأنه حين تعرض للانتقادات وأراد التراجع عن أفكاره، لجأ إلى التمييز بين الدعوة للتفكير والدعوة للفعل، وحين حاول دحض الانتحار ربطه بأفكار لا تقل جدلية مثل فكرة العبثية والعدمية.

أهمية البحث

لم يعد ينظر إلى الانتحار على أنه مشكلة نفسية ذات بعد شخصي، بل هي تندرج ضمن الإشكاليات المرتبطة بالتطور الحضاري ومظاهره المادية، ومن ثَمَّ أصبحت ذات بعد فلسفي، لكونها تناقش في سياق أزمة الحداثة ومأزق العدمية، وتتجلى أهمية مناقشة إشكالية الانتحار من خلال أزمة العدمية التي لم تعد أزمة غربية، بل إنها أزمة عالمية فرضتها التحولات الكبرى التي صاحبت العولمة.

ومن ثَمَّ فإن أهمية مناقشة إشكالية الانتحار فلسفيا، هو جزء من الإطار العام الذي تناقش فيه الإشكالية، لأن اليأس والإحباط والقلق والألم وإشكالية اللا معنى، والتي ترتبط بإشكالية الانتحار، أصبحت مع التيارات الفلسفية المعاصرة، جزءا أصيلا من النقاش الفلسفي.

إن العالم الآن بجميع مستوياته وتقسيماته، يعاني أزمة المعنى، التي لم تعانيها الشعوب الغربية نظرا لحالة الخواء الروحي المترتبة على إقصاء الدين عن الخوض في إشكاليات الحياة، بل إنها تطال حتى المجتمعات التي تقوم على أسس دينية، سواء لأن الدين لم يعد له مكان الصدارة، بسبب ضعف الواعز الديني، أو لأن الخلافات الدينية بين الفرق والمذاهب أصبحت هي نفسها مصدر إشكال وقلق، وهو ما جعل الدين يعجز عن ملء الفراغ الروحي.

تأسيسًا عليه، فإن البحث في إشكالية الانتحار فلسفيا، يفتح الآفاق أمام مناقشات أكثر شمولية؛ إذ يعد جزءا مهما من مناقشة إشكالية دول العالم الثالث، خاصة تلك التي عاشت أحداث ما عرف بالربيع العربي؛ حيث تتقاطع الإشكالية مع المناخ الفكري والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، نظرا لأنها مرتبطة سواء من حيث النتائج والأسباب باليأس والقلق والألم وغياب معنى الحياة.

منهجية البحث:

نظرا إلى أن الإشكالية الأساسية للبحث تتلخص في محاولة بيان الكيفية التي تناول بها سيوران إشكالية الانتحار، وعرض النتائج التي توصل إليها بعد طرحه للإشكالية، ومعرفة الأسباب الكامنة خلف مواقفه المتعددة وأساليبه المتباينة في معالجة الإشكالية، لذا فإن ذلك يتطلب منهجا تاريخيا لعرض أهم أفكار الفلاسفة حول الإشكالية، ومنهجا تحليليا لعرض ةتحليل أفكار سيوران، ومنهجا مقارنة لمقارنتها بأفكار أقرانه من الفلاسفة ومنهجا نقديا لبيان مواطن القوة والضعف في طرحه، والبحث يطرح الإشكالية في سياق فلسفي بعيد عن الطرحي النفسي؛ إذ ليس الهدف وضع حلول لها، بقدر ما هو عرض أفكار الفلاسفة بشكل عام وسيوران بشكل خاص حول الإشكالية وربطها بالطرح التشاؤمي والعبثي.

1-لِمَاذَا يَسْتَمِرُّ اَلْمُعَذَّبُونَ فِي اَلْحَيَاةِ اَلْبَائِسَةِ؟

يَتفِق الفلاسفة العدميون والمتشائمون بل وَحتَّى اللَّاهوتيُّون، على أنَّ الحيَاة مَا هِي إِلَّا سِلْسلة مِن الآلَام والْأَحْزان والْمآسي، بل يَذهَب بَعضُهم إِلى أَنَّه مَا كان يَجدُر بِالْمَرْء أن يُولد أصْلا، كمَا يتَّفقون على أنَّ المَوْتَ يُمثِّل الخلَاص المنْتظر مِن كُلّ شُرُور الحيَاة، وَبمَا أنَّ الحيَاة على هذَا النَّحْو، فلماذَا لَا يَقتُل البشر أنفُسهم؟ أَلا يعد اِسْتمْرارهم فِي الحيَاة مُفَارقَة؟ ومَا تُفرّق اللَّاهوتيُّون والْعدميون والْإِنْسانيُّون إِلَّا مِن بَعْد هذَا السُّؤَال.

وَمِن أَقدَم النُّصوص اَلتِي طَرحَت الإشْكاليَّة، بل وَمِن أهمّهَا أيْضًا، هُو ذَلِك الحوَار اَلذِي دار بَيْن سِيبيس(Cebes 430 – 350 ق.م) وسقْرَاط (Socrates 470- 399 ق.م)؛ حيث صِيغتْ فِيه إِشْكاليَّة الانْتحار على شَكْل مُفَارقَة، وَالتِي يُوجزهَا فِي السُّؤَال عمّ إذا كانت ظُرُوف الحيَاة غَيْر مُوَاتيَةٍ، والْمَوْتُ خَيْر مِن الحيَاة، فلماذَا لَا يُقدّم الإنْسان الخيْر لِنفْسه؟ وَعلَى الرَّغْم مِن الصّيَاغة المنْطقيَّة لِلسُّؤَال، إِلَّا أنَّ سُقْراط لَم يُعَالِج الإشْكاليَّة فَلسفِيا، بل ذهب مُبَاشرَة إِلى اَلحَل الدّينيّ، مُعْتبِرًا أنَّ الأرْواح مَلِك اَلآلِهة، ولَا يَحِق لِلْبشر التَّصَرُّف فِيهَا.(أفلاطون 1، 2001، ص 164) إضافة إلى أن الانْتحار -فِي نظر سُقْراط- غَيْر قَانُونيّ، على الرَّغْم مِن كُلّ المزايَا اَلتِي يمْنحهَا لَنَا المَوْتُ.(أفلاطون 2، 2001، ص 368)

وقد عَالَج (تُومَا الأكْويني) (Thomas Aquinas1225- 1274 م)الإشْكاليَّة خِلَال مَرْحَلة اَلعُصور اَلوُسطى بِعقْلانيَّةٍ أَكثَر مِن سُقْراط، فعلى الرَغْم من خلْفيَّته اللَّاهوتيَّة، إلا أنه رأى في الْحفاظ على اَلوُجود فِعْلا عقْلانيّا بِامْتيازٍ، فالْإِنْسان بِطبيعته يَبحَث عن الخيْر اَلذِي يَتوافَق مع طبيعَته، ومن ثَمَّ سيتجَنَّب الانْتحار، لِلْحفَاظ على نَفسِه مِن جِهةٍ، والْحفاظ على اِسْتمْرار النَّوْع مِن جِهةٍ أُخرَى، بل هُو فِعْل عقْلانيٌّ وغريزيٌّ فِي الوقْتِ ذَاتِه؛ إذ يَشْتَرِك فِيه الإنْسان والْحيوان.(كويلستون، 2010، 149)

أَمَّا فِي الحقْبة الحديثة، فَإِن (أَسْبينوزَا) (Baruch Spinoza 1632- 1677) يرى أنَّ الانْتحار حَالَة شَاذَّة، فلَا يُمْكِن لِلْإِنْسان أن يَقتُل نَفسَه، إِلَّا بِضَغط مِن ظُرُوف خَارجِية.(اسبينوزا، 2009، ص 251) بِكلمَاتٍ أُخرَى، لا يكون السُّؤَال اَلمهم "هل يَحِق لِلْمرْء أن يَقتُل نَفسَه؟"، بل "مَا اَلذِي يَدفَع المرْء لِفعْل ذَلِك أصْلا؟" وَإِن كَانَت الإجابة هِي الظُّروف الخارجيَّة اَلتِي تفْرضهَا الحيَاة، فَإِن الوضْع الطَّبيعيَّ هُو التَّقْليل مِن أثر تِلْك الظُّروف، بدلا مِن مُحَاولَة فَهْم وَتفسِير وَتبرِير آثارِهَا.

وَلقَد كتب (هِيوم) (David Hume 1711- 1776) رِسالة طَوِيلَة عَالَج فِيهَا مُشْكِلة الانْتحار؛ وَذلِك لِدَحض المبرّرات الدّينيَّة اَلتِي تَتحدَّث عن كَوْن الانْتحار تعْديا على اَللَّه والْعناية الإلهيَّة، مُؤكدا أنَّ الحفَاظ على الحيَاة أو إِنْهائهَا هُمَا فِعْلَان مُتساويان مِن حيث إِمْكانيَّة إِسْنادهمَا لِذَات المصْدر، ومن ثَمَّ يَحِق لِمن يُعَانِي بُؤْس الحيَاة وبطارده الألم أن يَتَجاوَز رَهبَة المَوْتِ، والسَّبب اَلوحِيد اَلذِي يَجعَل الانْتحار جَرِيمَة، هُو أَنَّه خُطوَة يَقُوم بِهَا الإنْسان بِدافع اَلجُبن. (Hume, 2001, PP 2-5)

بيْنمَا يطْرح (هِيغل) (Hegel 1770- 1831) الإشْكاليَّة فِي سِيَاقٍ أخْلاقيّ، مُتسائلا هل يَحِق لِلْمرْء أن يُطبّق على الرُّوح قَواعِد المَلْكيَّة الثَّلَاث (الحيازة والاسْتخْدام والتَّنازل)؟ ويجيب بِالنَّفْي، لَيْس لِأَنَّ الانْتحار مُجرَّد شَجاعَةٍ فَاسِدةٍ، بل لِأَنَّ الشَّخْصيَّة مِلْكِية عُمومِيَّة (مَلِك اَلجمِيع أو الدَّوْلة) ولَا يَحِق لِلْفرْد التَّخَلُّص مِنهَا أو التَّنازل عَنهَا؛ لِأَنَّ هُنَاك جِهة وَاحِدة يَحِق لَهَا أن تَطلُب مِن المرْء التَّضْحية بِنفْسه، وَهِي الدَّوْلة.(هيغل، 1996، ص 352) وَمِن الواضح أنَّ "هِيغل" يُعمّم الانْتحار، لِيشْمل حَتَّى مُخَاطرَة الإنْسان بِنفْسه، وليْس الانْتحار بِمفْهومه الضّيق اَلذِي يَعنِي قَتْل النَّفْس.

ويسير (شُوبنْهاور) (Schopenhauer 1788- 1860) فِي السِّيَاق الأخْلاقيّ ذَاتِه، وَلَكنَّه قَبْل ذَلِك يُفنّد اَلحُجج اَلتِي تسْتخْدمهَا الأدْيان -خَاصَّة اليهوديَّة- ضِدَّ الانْتحار، مؤكدا أنه لا يوجد نصّ صريح فِي تَحرِيم الانْتحار، (أو مَا يُطلَق عليْه المَوْتُ اَلطوْعِي) وَكُل مَا يفْعله رِجَال الدِّين، هُو الاعْتماد على حُجَجٍ فَلسفِيةٍ مِن اِخْتراعهم، مِمَّا يجْعلهَا ضَعِيفَة جِدًّا، وَإِن اَلحُجة اَلوحِيدة ضِدَّ الانْتحار، هِي اَلحُجة الأخْلاقيَّة؛ حيث يَحُول الانْتحار دُون اَلوُصول إِلى الهدف الأسْمى الأخْلاقيّ.(شوبنهاور، 2019، ص ص 39-43)

وَلقَد أَعطَى (نِيتْشه) (Nietzsche 1844- 1900) إِشْكاليَّة الانْتحار مِساحة وَاسِعة مِن فلْسفَته؛ حيث صاغهَا فِي شكْلهَا الأوّل وصاغها بأسلوبه العدميّ على شَكْل مُفَارقَةٍ، فَإِذَا كَانَت الولادة هَزِيمَة، والْحياة هِي مُرَادِف المأْساة والْأَلم والْمَوْتِ -كمَا أنَّ المَوْتَ حَتمِية وَاقِعة- فلِماذَا يَستَمِر الإنْسان فِي الحيَاة إِذَا كان بِمقْدوره أن يضع حدًّا لَهَا؟ ألا تخْطر هَذِه الفكْرة على اَلْبال بِشَكل طَبيعي وتعْتَبر اِنْتصارًا لِلْعقْل؟(نيتشه، 2002، ص 57) فَإِذَا كُنَّا لَا نَستطِيع أن نَمنَع وِلادتنَا، فَإِن بِمقْدورنا وَضْع نِهايةٍ لِوجودنَا.(نيتشه، 2010، ص 140)

بل ويعْتَبر أنّ الانْتحار اَلذِي يُطْلِق عليْه المَوْتُ (المعْقول) فِي مُقَابِل المَوْتِ (الطَّبيعيّ) شيْئًا إِيجابيًّا، ولوْلَا الفكْر الدّينيُّ اَلذِي يُسيْطِر على اَلعُقول الدُّنْيَا،

مَا اِستحَق المَوْتُ الطَّبيعيُّ أيْ تَمجِيدٍ.(نيتشه، 2001، ص 174) ويحْتجَّ على الدِّيانة المسيحيَّة، فِي كوْنهَا تُحرِّم كُلَّ أَشكَال الانْتحار، ماعدَا الاسْتشْهاد والْقَتْل اَلبطِيء بِالزُّهْد.(نيتشه، 1993، ص 135) أي أنه يتهم المسيحية بالتناقض، لكونها تحرم الانتحار من جانب وتجعله مباحا بطرق أخرى.

وَعلَى الرَّغْم مِن كُلِ مزايَا الانْتحار، إلَّا أنَّ "نِيتْشه" يرى فِي مُقاومته بَعْض النَّشْوة، فالْأنْوار اَلتِي يُبْصرهَا العقْل وَهُو يَتَصدَّى لِلْألم، تُعْطِيه قُوَّة كَافِية لِمواجهة إغرَاء الانْتحار، وتجْعل اَلذِي يُعَانِي يَرغَب فِي الاسْتمْرار فِي الحيَاة، لِكيْ يُفكِّر فِي اِزدِراء العالم الغامض والدَّافِئ والْمريح، إنَّه يَجِد مُتعَة كَبِيرَة فِي اِسْتِرْجاع هذَا الازْدراء، اَلذِي يَبدُو وَكَأنَّه آتٍ مِن أَعمَاق اَلجحِيم.(نيتشه، 2013، ص 87)

ويولِي (كَامُو) (Albert Camus 1913- 1960) إشكالية الانتحار اهتماما كبيرا لدرجة يجعل من حلِّ إِشْكاليَّة الانْتحار مُهمَّة أساسيَّة للفلْسفة، حين تجيب على السُّؤَال الجوْهرِيّ، هل الحيَاة جَدِيرَة بِأن تُعَاش؟(كامو، 1983، ص 11) وَعلَى الرَّغْم مِن أَنَّه يَربط بَيْن العبثيَّة والْقَتْل والانْتحار، وَيطلِق عَليهِما معًا (القتْل المنْطقيُّ) -سَوَاء كان القتْل لِلْغيْر أم لِلنَّفْس- وَيقِر بِأنَّهَا أَفكَار تَنطلِق مِن الخلْفيَّة ذاتهَا، ومن ثَمَّ لَا يُمْكننَا أن نُقِر بِواحِدةٍ ونرْفض اَلْأُخرى.(كامو، 1938، ص 11) وَلَكنَّه فِي المقابل يَرفُض فِكْرَة الانْتحار، حَتَّى لَو لَم يَكُن الإنْسان مُؤْمِنا بِاللَّه، وَذلِك لِكَون الانْتحار لَا يعد حلًّا لِمشْكِلة مَعنَى الحيَاة أو العبثيَّة.(كامو، 1983، ص 7)

وَعلَى الرَّغْم مِن أن "كَامُو" و(سارْتر) (Sartre 1905- 1980) ينْتميان إلى نَفْس التَّقْليد الفلْسفيّ (التَّيَّار الوجوديُّ)، إلَّا أَنهُما لَا يتَّفقَان فِيمَا يَتَعلَّق بِالْمَوْقف مِن الانْتحار؛ حيث يُوصي كَامُو بِعَدم الانْتحار، ويجادل فِي ذَلِك على أَسَاس مَا لِلْحيَاة من معْنى، أَمَّا سارْتر فيحْتَفظ بِالْخيار، ويجادل على أَسَاس الاسْتقْلاليَّة والْحرِيَّة والْمسْؤوليَّة.(Trujillo, 2021, P 220) فَسَارتَر لَا يُؤيِّد الانْتحار، وَلَكنَّه يُؤكِّد على قِيمة اَلحُرية -لِكوْنه فيْلسوف اَلحُرية- وَالتِي تَعنِي ضِمْنًا حقَّ الإنْسان فِي أن يضع حدًّا لِحياته.

ويُسخِّر (بوبر) (Popper 1902- 1994) جُزْءًا مِن فلْسفَته لإجابة سُؤَال الفلاسفة العدميين الخاصة بجدارة الحياة بأن تعاش، وذلك بدحض الفرْضيَّة الأساسيَّة (أنَّ الحيَاة مأْساويَّة بِطبيعتهَا) مُعْتبِرًا أنَّ العالم -عُمومًا والْغرْبيَّ على وَجْه اَلخُصوص- يَتَمتَّع بِمزايَا كَثِيرَة، على رأْسهَا الدِّيمقْراطيَّة، مِمَّا يَجعَل الحيَاة جَدِيرَة بِأن تُعَاش، على عَكْس مَا يُروج مِن أَكاذِيب، تَقُول إنَّه عَالَم سَيِّئ وغيْر جدير بِالْحياة، مِمَّا يَدفَع الشَّبَاب إلى الانْتحار.(بوبر، 1998، ص 244)

2- سِيُورَانْ بَيْنَ إغْوَاءِ اَلِانْتِحَارِ وَمُوَاجَهَتِهِ

لَقد كَانَت أَفكَار سِيورَان حَوْل إِشْكاليَّة الانْتحار مُتذبْذبة، كمَا تناولهَا فِي شَذَراتٍ مُتَفرقَةٍ، غَيْر مُترابطةٍ، وإن خَصَّص بعد ذلك مَجمُوعة مقالَاتٍ لِمناقشة الإشْكاليَّة بِشَكلٍ أَكثَر تنْظيمًا وَوضُوحا وَدقَّة، أَولُها (مَعنَى الانْتحار) فِي كِتابه على مُرْتفعات اليأْس، وَفِي كِتابه (رِسالة فِي التَّحَلُّل) يُخصِّص مقالا بِعنْوَان مَوارِد التَّدْمير الذَّاتيّ RESSOURCES DE LAUTODESTRUCTION / Resources of Self - Destruction، ويخصِّص مقالا آخر مُنْفرِدًا بِعنْوَان (فِي مُوَاجهَة الانْتحار ENCOUNTERS WITH SUICIDE) فِي كِتابه (اَلآلِهة الجديدة The New Gods) ويلخِّص فِي هذه المقالات مَوْقفه الأَكْثر وُضوحًا مِن الإشْكاليَّة.

وينْطَلق سِيورَان فِي مُنَاقشَة إِشْكاليَّة الانْتحار، بِالْكيْفيَّة ذاتهَا اَلتِي إنطلَق مِنهَا أَسْلافه، وَذلِك بِطَرح السُّؤَال عن المبرِّرات اَلتِي يُمْكِن أن تَجعَل الإنْسان يَستَمِر فِي الحيَاة، رَغْم كُلِّ مَا تَحمِله لَه مِن بُؤْسٍ وَعَذابٍ وَعدَم جَدوى (سيوران 1، 2020، ص 82). وَلَكنَّه يَتَساءَل فِي المقابل عن أَحَقيَّة البشر فِي اِتِّخاذ هذَا القرَار، وإعْفَاء أَنفُسهم مِن الحيَاة، لِأَنَّهَا لَيسَت عُنْصُرهم. (سيوران، 2021، ص 119)

وعلى الرغم من ذلك يؤكد سيوران على أنّ قَرارَ تخَلُّصِ الإنسان مِنْ نفسه، هوَ الأَهَمُّ من بين كل قراراته المصيرية، عِنْدَ جميع البشر، حَتَّى ولو كان ذَلِك لَيْس هُو الأَمْر الطَّبيعيُّ، وَلَكنَّه يَبقَى على هذَا النَّحْو، ولَا يُمْكِن تَغيِير هذَا الانْحراف والْغموض الإنْسانيّ. (Cioran, 2002, P 46)

ويرجع سيوران ذلك إلى بؤس الحياة، فمن الطبيعي أن يحدِّث الإنسان نفسه كلما واجه صعوبات في الحياة، بضرورة أن ينسحب أحد طرفي البؤس (الإنسان أو الحياة)، فلا يمكن الاستمرار هكذا إلى ما لا نهاية.(سيوران، 2015، ص 140) بل يَذهَب أحْيانًا أَبعَد مِن ذَلِك، حِين يَتَساءَل: هل يَجِب أن نعيش الشَّيْخوخة والْمَرض والْمَوْت لِنَنْسَحب مِن العالم؟(سيوران 2، 2020، ص 124) بِكلمَاتٍ أُخرَى، لَيْس بِالضَّرورة أن يَنتَظِر الإنْسان أن يُدَاهمَه اَلبُؤس والْمَرض، حَتَّى يَتخِذ قَرَار الانْتحار، فالْحياة غَيَّر جَدِيرَة بِالْعَيْش مِن الأَسَاس.

ومأساوية الحيَاة، ترغم كل ذي عقل وبشكل دائم على طرح السؤال ذاته مرارا وتكرار: لِمَاذَا لَا يَقتُل البشر أَنفُسهم؟ لِأَنَّ ذَلِك هُو اَلمَوْقِف الطَّبيعيّ حِين يُدْركون عدمية جدْواهم، وَلذَلِك يَبدُو سُلوكًا غَيْر مَفهُوم أَلَّا يَفعَل البشر ذَلِك، ولِمَاذَا يَبدُو الانتحار سُلوكًا بِهَذه النُّدْرة؟(سيوران، 2021، ص 37) وَمِن الواضح أنَّ سُؤَال سِيورَان اِسْتنْكاريًّا وليْس اِسْتفْهاميًّا، لِكوْنه يُؤكِّد فِي جَوابِه على ضَرُورَة القيَام بِهَذا الفعْل.

ويرى سيوران أن مُبررَات وَضْع حدٍّ لِلْحيَاة لَا تُعَد ولَا تُحصَى، إلا أن أهمها، أنَّ استمرار الإنْسان في الحياة في حد ذاته يعتبر انتحارا –ولو على سبيل المجاز- لِكوْنه خَارِج العالم أصْلا، وبعيد عن نَفسِه، فلَا يُمْكن (بِدون إساءة) تصْنيفه بَيْن الأَحْياء، لأن اِتِّصاله بِالْحياة سَطحِيّ، واتِّصاله بِالْمَوْتِ لَيْس أقلَّ مِن ذَلِك، ولَم يَتَمكَّن مِن اَلعُثور على مَكانَه اَلدقِيق بَيْن الموت والحياة، فَهُو دخيل وَزائِف، وَبشر كَاذِب ومحْتَال ونِصْف حَقيقِيّ وَكائِن بِلَا وُجُود.(Cioran, 2011, P 144)

وَفِي السِّيَاق ذَاتِه يُميّز سِيورَان بَيْن الانْتحار وبيْن الموْتِ؛ إذ لَا يُوجَد فِي نَظرِه شَيْء مُشتَرَك بَيْن هوس الانْتحار والشُّعور بِالْمَوْتِ - ذَلِك الشُّعور اَلعمِيق المسْتمرّ بِالنِّهَاية فِي حدّ ذاتهَا والْمصير لِلْهلَاك- فالْمَوْتُ لَا يُعتَبَر بِالضَّرورة تَجرِبة لِلْخلَاص؛ والانْتحار دائمًا يُعتَبَر كَذلِك، إنَّه ذُروَة الخلَاص. (Cioran, 2002, P 43) بكلمات أخرى، يرى سيوران أن حياة الإنسان لا تختلف عن الموت، ولكنها لا تمثل الخلاص، لذلك لابد أن يتدخل الإنسان ويتخذ قرار الانتحار حتى يصل إلى الخلاص الحقيقي، الذي يعبّر به عن عدم الانتماء للعالم.

أمّا السبب الذي يجعل من الإنسان غير متصل بالعالم، فهو وجود شعور راسخ بِكراهية الذَّات لدى الإنْسان، فَمُنذ اللَّحْظة اَلتِي طُرد فِيهَا آدم مِن الجنَّة، عمل الإنْسان جاهدًا لِكيْ لَا يَبدُو مُنْتمِيًا لِهَذا العالم، من خلال الْحفاظ على حَالَة الوعْي الدَّائمة، وَالتِي يُرسِّخ بها الإنْسان كَراهِيته لِذاته، فَإن تُكِن واعيًا يَعنِي أن تَنفَصِل عن نَفسِك، وأن تَكرَه نَفسَك، حَتَّى يَتَحوَّل هذَا إلى مَبدَأ وجوْهرٍ لِلظَّاهرة الإنْسانيَّة، أنَا أَكرَه نَفسِي؛ إذا أنَا إنْسانيٌّ تمامًا. (Cioran, 2011, P 144)

وليْس هذَا وَحسَب، بل حَتَّى مَشاكِل العمل تَعُد مُبَررا كافيًا لِلانْتحار، وَلذَلِك يَقتبِس سِيورَان حِوارًا لـ(هَاملِت Hamlet) يَتَحدَّث فِيه على أنَّ الفشل فِي العمل مِثْل (إعاقة القانون the law s delay، وَغَطرسَة المناصب the insolence of office ويصنِّفهَا على أَنهَا مِن بَيْن أهمّ الأسْباب اَلتِي تُبرّر الانْتحار.(Cioran, 2012, P 9)

وتأسيسا على كل ما سبق جعل سيوران من الانتحار فعلا عقلانيا منطقيا، فلا يَقتُلُ الإنسانُ نفسه، كما يُفترضُ عادةً، في نوْبةِ جُنونٍ بلّ في نوْبةٍ مِن الوُضوحِ الّذي لا يُطاقُ، في نوْبةٍ يُمكِنُ أن يُتِمّ تحديدها بِالجُنونِ؛ لأنّ التّبصُّر المُفرِط الّذي يَصِلُ إلى الحدّ الأقصى، يَتجاوَزُ سياق العقل، وَمع ذلِك فإنّ لحظة اتّخاذِ القرارِ تشهدُ على عدمِ تعتمِ رُؤيَة العقلِ.(Cioran, 2002, P 46) بِكلمَاتٍ أُخرَى، تَعُد لَحظَة الانْتحار لَحظَة وُضُوح وَبَصيرَة تَتَجلَّى فِيهَا لِلْإنْسان حَقِيقَة الحيَاة لَا مَعْنَاها، ورغْم أَنهَا لَحظَة عقْلانيَّة إلا أن النَّتيجة قد تَدفعُه إلى اَلجُنون.

وبناء على ذَلِك يرى سِيورَان أنَّ الفعْل اَلوحِيد اَلذِي يُمْكِن أن يَقُوم بِه الإنْسان دُون الإحْساس بِالْخِزْي، هُو أن يضع حداً لِحياته تجاوزًا لِلشَّقَاء، وَلذَلِك سَيكُون بَوَّاب العمارة اَلذِي يُشنَق نَفسُه، أَعظَم مِن شَاعِرٍ على قَيْد الحيَاة، فالْإنْسان مُنْتَحِر مع وَقْف التَّنْفيذ، فمَا مِن خَلَاص خَارِج الانْتحار. (سيوران، 2021، ص 275)

ولم يَتَوقَّف سِيورَان عِنْد حدّ التَّرْوِيج لِلانْتحار، بل تَجاوَز ذَلِك – فِي مَراحِل تفْكيره المبكِّرة- إلى حدّ المطالبة بِقَتل كِبَار السِّنّ، حِين تَبنَّى فِي شَبابِه مَشرُوعا غريبًا، يَقضِي بِقَتل كُلّ مِن تَجاوَز عُمرُه الأرْبعين سنة، تِلْك السِّنّ المفْصليَّة اَلتِي تَبدَأ بعْدهَا الشَّيْخوخة والتَّحنُّط، وَيصبِح الفرْد بعْدهَا لَعنَة على اَلأُمة وعبْئًا على الجماعة.(سيوران، 2010، ص 25)

3-لِمَاذَا لَا يَنْتَحِر الْبَائِسُون

بعد أن ينتهي سيوران من تعداد الأسباب التي تجعل من الانتحار ضرورة، ولكنه ليس واقعا ملموسا، يحاول وضع مَجمُوعة مِن الافْتراضات اَلتِي يُرجِّح أَنهَا تَمنَع البشر مِن الانْتحار، وَتَحول بيْنهم وبيْن أن يكونوا على طبيعتهم، وَأَهمهَا أَنَّه يُوجَد فِي دَاخلِهم إغرَاء -وليْس إرادة- لِلْموْتِ، ومن لَا يَستغِله فِي الوقْتِ المناسب -وَهُو أَوَّل لَحظَة غضبٍ- سيواجه عَقبَة كُبرَى، وَهِي أنَّ فِكْرَة الانْتحار تَبدُو جَدِيدَة بِشَكل لَا يُصدِّق على الإنْسان اَلذِي يمْتلكهَا؛ وَلذَلِك فَهُو يَتَصوَّر نَفسَه يَقُوم بِعَمل لَيْس لَه مثيل؛ يمْلؤه هذَا الوهْم مِرارًا وتكْرارًا، وَيَجعلَه يضيّع وقْتًا ثمينًا. (Cioran, 2002, P 40) فما يمنع البشر من الانتحار ليس اقتناعهم أو سعادتهم بل كونهم يسيرون خلف القطيع؛ إذ لم يتحول الانتحار إلى عادة حتى الآن.

إضافة إلى أنَّ البشر يتَّصفون بِالْجبْن، فَهُم لَا يمْلكون اَلقُوة لِلتَّخَلُّص مِن حياتهم؟(سيوران، 2021، ص 152) وعنْدَمَا يَجدُون أَنفُسهم مُضْطرّين لِلْيأْس، فإنَّهم يُفضِّلون دائمًا الاستسلام للحياة على اَلوُقوف في وجهها، ويركنون إلى الجبن والتعب ويرفضون الخلَاص، يفضّلون اصطحاب آمالهم التي تبقيهم على قيد الحياة إلى قبورهم، على التخلص منها.(Cioran, 2011, P 130)

والْأَهمَّ مِن هذَا كُلّه أنَّ هُنَاك مُؤَامرَة قَدِيمَة ضِدَّ الانْتحار، وَهِي المسْؤولة عن اِحتِقان المجْتمعات وتصلُّبهَا، وَلذَلِك يَجِب أن يتعلم الإنسان كَيْف يُدمّر نفسه فِي اللَّحْظة المناسبة، ويعلم أنه ما لَم يُقرّر القيَام بِذَلك، فَإنه يستَحِق الإذْلال، فعنْدَمَا يَستنْفِد الإنْسان سبب وُجوده، فَمِن اَلبغِيض أن يَستَمِر.(Cioran, 2002, P 43)

وَيرَى سِيورَان أنَّ هَذِه المؤامرة مُرتبطَة بِالتَّعاليم الدِّينيَّة اَلتِي طالمَا حمّلهَا مسْؤوليَّة تَقدِيس اَلوُجود والْحفاظ على الذَّات، فَفِكرَة اَللَّه تَنتَصِب عائقًا أَمَام الانْتحار، لَكِن لَيْس أَمَام الموْتِ أبدًا.(سيوران 2، 2020، ص 6) فلَا أحد قَادِر على أن يَمنَع الإنْسان مِن جزّ عُنُقه وَهُو يُحلّق وجهه، غَيْر اَللَّه.(سيوران، 2003، ص 177)

والْأَدْيان في نظر سيوران هي التي تمْنع البشر مِن أن يمُوتوا بِإرادتهم لِأَنَّهَا ترى ذَلِك عِصْيانًا يُهين اَلآلِهة، فالانْتحار أَكبَر خَطِيئَة مُمْكِنة، لِأَنَّ اَلمجْرِم قد يَتُوب بيْنمَا قَاتِل نَفسِه لَا يَملِك فُرصَة لِذَلك.(سيوران، 2021، ص 69) كمَا أنَّ الأدْيان جَاءَت فِي الأَسَاس لِتعْطي الحيَاة مَعْنى، وَلِهذَا السَّبب كَانَت الدِّيانات ضِدَّ الانْتحار، فَكُلهَا تُريد أن تُسْبِغ مَعْنى على الحيَاة، فِي الوقْتِ تَفتَقِد هِي ذَاتُها لِأيّ مَعْنى، فجوْهر الدِّيانات إنَّها عَدَميَّة ضِدَّ الانْتحار.(سيوران 2، 2020، ص 145)

وَلذَلِك فَإن الإنْسان اَلذِي تَضررَت غَرائِزه بِسَبب الخيْر، لَا يَتَدخَّل فِي مَصيرِه وَلَا يُحَاوِل صُنْع مصيرٍ آخر؛ يَستسْلِم ويسْتقيل ويسْتَمرُّ غريباً عن

السُّخْط والْغطْرسة والْخبْث، غريباً عن السببين اللذين يَدعُوان معًا ويسْهلان تَدمِير الذَّات، لِذَلك فِكرَة التَّعْجيل بِنهايته لَا تَخطُر بِباله أبدًا، لِكوْنه يَملِك تواضعًا مُرْضِيا لِلْخضوع لِلْموْتِ، بِأيّ شَكْلٍ مِن الأشْكال إِلَّا بِيَده.(Cioran, 2002, P 53)

ولدحض هذه المؤامرة، يدعو إلى إعطاء أهمية لمُكافحة غريزةِ الحِفَاظِ على الذّاتِ، ما يَهُمُّ هوَ مُحاربةُ هذِهِ الغريزةِ بِإدانةِ وَيْلاتِها، فهُناك احتِمالٌ أكبرُ أن ننجح عِندما نعيدُ تأهيل الِانتِحار، عِندما نُؤَكِّدُ على تفوقِهُ، عِندما نجعلُهُ مُمتعًا وَمتاحًا لِلجميعِ، أن نجعل منه أيّ شيْءٍ، ما عدا أن يَكون فِعلًا سلبيًّا.(Cioran, 2002, P 49)

4-سِيُورَانْ وَمُقَاوَمَةُ اَلِانْتِحَارِ(بَيْنَ اَلْكِتَابَةِ وَالْفِعْلِ)

مِن الجدليَّات الشَّائعة فِي تَارِيخ الفلْسفة، هِي جَدَليَّة تَطابُق حَيَاة الفيْلسوف مع فلْسفَته، بَيْن مُؤيّد وَرافِض لِضرورة أن تَكُون حياته اِنْعكاسًا لِفلْسفته، وَيمكِن طَرْح الجدليَّة عن سِيورَان وَمعرِفة مدى تَطابُق أفْكاره عن الانْتحار مع فلْسفَته، وَذلِك إِذَا عرفْنَا أَنَّه عاش غريبًا منْفيًّا بعيدًا عن وَطنِه، وَأَنَّه لَم يَحصُل على عملٍ ولَا مَصدَر رِزْقٍ ثَابِتٍ، وَكَان يعيش على الكفَاف، فِي ظُرُوفٍ قَاسِيةٍ، فلماذَا لَم يَنتَحِر مع كُلّ هَذِه المزايَا اَلتِي يراهَا فِي الموْتِ بِوصْفه نِهاية لِمأْساويَّة الحيَاة؟ بل يَجِب على الإِنْسان أن يُقْدِم عليْه بِنفْسه لَو تَجاوَز الأرْبعين مِن اَلعُمر.

بل على العكْس مِن ذَلِك يَعتَرِف سِيورَان أَنَّه قَاوَم الانْتحار كثيرًا، رَغْم المغْريات اَلتِي تُقَدمهَا لَه الأشْياء مِن حَوله، فالْمسْمار يَهمِس له أن يَطعَن قَلبُه، وَشفْرَة السِّكِّين تُغْرِيه بِأنَّ ثَانِية وَاحِدة مِن العزْم ستنْتَصر على كُلّ هذَا اَلبُؤس وَالخِزي، والنَّافذة تَقُول لَه بِصريرهَا إِنَّ فُتْحتَهَا تَتسِع لِجسده لِيكون بُعْد لَحَظات مُحَطما على اَلرصِيف حَيْث يَتَحطَّم معه مَعنَى الحيَاة أو بِالْأحْرى لَا مَعْنَاها، فَكُل شَيْءٍ يَدعُوه إِلى الهلَاك والتَّخلُّص مِن الحيَاة. (سيوران، 2021، ص 251)

ويؤَكِّد سِيورَان أنَّ نَظَريتَه فِي الانْتحار، هِي أَنَّه لَا يَنبَغِي لِأَحد أن يَقتُل نَفسَه، وأنَّ مَا حدث هُو سُوء فَهْمٍ لِنظريَّته، اَلتِي ترى أَنَّه يَجِب الاسْتفادة مِن فِكْرَة الانْتحار لِتحمُّل الحيَاة، وَهذَا شَيْء مُخْتَلِف عن الدَّعْوة لِلانْتحار، وَلذَلِك هُو يَعتَرِض على اِتّهامه بِأنه يُروِّج لِفكْرة الانْتحار دُون أن يَنتَحِر هُو نَفسُه، بِأنه لَم يَقُم بِذَلك أبدًا.(Weiss, 1991, P 34) بل كل ما تبناه هو أنّ هشاشة الحياة تتطلب فكرة أخرى توازنها وهي فكرة إمكانية التخلص منها لذلك تعد فكرة الانتحار فكرة منقذة.(حميش، 1988، ص 150) أيْ أَنَّه لَم يَتبَن الدَّعْوة إِلى الانْتحار أصْلا.

ويبرِّر التَّناقض بَيْن أقْواله وأفْعاله، لِكوْنه يُمْضِي وقْتًا فِي الدَّعْوة إِلى الانْتحار عن طريق الكتابة، وَلَكنَّه فِي المقابل يَدعُو إِلى تَجنبِه عن طريق القوْل وَالفِعل، بِأنَّ فالدَّعْوة فِي الحالة اَلأُولى، هِي مَخرَج فَلسَفِي، أَمَّا الممارسة فِي الحالة الثَّانية فالْأَمْر يَتَعلَّق بِكائنٍ وصوْتٍ وشكْوى.(زنار، 2009، ص 77)

أيْ أَنَّه يُميِّز بَيْن الفلْسفة مِن جِهةٍ وبيْن المعايشة والْإِشْكاليَّة الإِنْسانيَّة مِن جِهةٍ أُخرى، فَعلَى اَلصعِيد الفلْسفيّ والْعقْلانيّ والْمنْطقيّ، يَعُد الانْتحار عملاً مَقبُولاً قِياسًا إِلى خُلُو الحيَاة مِن المعْنى، ومَا تَحمِله مِن ألمٍ ومعاناةٍ، وَلكِن فِي المقابل لَا يُعد عملا إِنْسانيًّا، لِأَنَّ وَضْع نِهايةٍ لِحياة إِنسَانٍ لَا يُعَد أمْرًا مَقبُولا أخْلاقيًّا أو إِنْسانيًّا.

وَيرَى بَعْض البحَّاث، أنَّ السَّبب وَرَاء طَرْح سِيورَان لِفكْرة الانْتحار، بِشَكل يُفهَم مِنْه أنّ يُؤدِّي قَتْل البشر هُو محاولة التَّوْفيق بَيْن المواقف المتعارضة مِن فِكْرَة الانْتحار -خَاصَّة لَدى مُعاصريه (سارْتر وكامو)- فَهُو يَستَخِف بِفعْل الانْتحار، وَلَكنَّه يُشجِّع على التَّأَمُّل فِيه، ومن ثَمَّ فَهُو يَتفِق مع سارْتر على أَنَّه يُؤثِّر فِي مسْؤوليَّتنَا وقدْرتنَا على النَّظر فِي القضايَا الوجوديَّة، وَيتفِق مع كَامُو على أَنَّه لَا يَنبَغِي لَنَا أن نَقتُل أَنفُسنا، وَهذَا هُو اَلموْقِف المزْدوج اَلذِي تَبَناه سِيورَان بِشَأن هَذِه الأفْكار طَوَال مسيرَته الفكْريَّة، الْمتمثِّلة فِي رَفْض الانْتحار رَغْم التَّغَنِّي بِه.(Trujillo, 2021, P 220)

5-اَلتَّفْكِير فِي اَلِانْتِحَارِ يَسْلُبُ جَاذِبِيَّتَهُ

ويميّز سِيورَان بَيْن التَّفكير فِي إِشْكاليَّة الانْتحار وتحْليلهَا فَلسفِيًّا، وَبيَّن القيَام بِالانْتحار، وتشير مُلاحظاته بِوضوح إِلى أَنَّه يَعتَقِد أنَّ التَّفْكير فِي الانْتحار يُعَدُّ شرْطًا ضَروريا لِلْعيْش بِشَكل جَيّد، وَدُون التَّفْكير فِي الانْتحار، نَمُوت غَيْر مُدْرِكين وغيْر مُكْترثين وبِشكْل آليّ، فَإِذَا لَم نُفكِّر أبدًا فِي الجوانب المظْلمة لِلْوجود، فَإِننَا رُبمَا نَفقِد مُعظَم الحيَاة البشريَّة.(Trujillo, 2021, P 224)

بل إِنَّ التَّفْكير فِي الانْتحار بِشَكلٍ مَنطقِيّ، يَحُول بيْننَا وبيْن الانْتحار، لِأَنَّ الإِنْسان اَلذِي لَم يُفكِّر قطُّ فِي قَتْل نَفسِه، سَوْف يُضطَر إِلى القيَام بِذَلك بِسرْعةٍ أَكبَر بِكثير، مِن الإِنْسان اَلذِي يُفكِّر فِي ذَلِك طَوَال الوقْتِ، فَكُل عملٍ حَاسِمٍ يَكُون تنْفيذه عن طريق عدم التَّفْكير فِيه، أَسهَل بِكثيرٍ مِن تنْفيذه عن طريق التَّفْكير المتفحِّص.(Cioran, 2002, P 45) فلَا يَقتُل المرْء نَفسُه إِذَا كان يَعرِف بِالضَّبْط مَا اَلذِي يمْنعه مِن القيَام بِذَلك، ولَا يَكُون لَديْه اَلمزِيد مِن الأسْئلة لِيطْرحهَا على نَفسِه؛ حيث كان يَجِب أن يُجيب عليْهَا جميعًا.(Cioran, 2002, P 52)

ويُؤَكِّد سِيورَان أنَّ مُعَايشَة الانْتحار بِشَكلٍ يَومِيّ تَجعَل مِن الظُّلْم والْجحود أن نُنْكِر أفْضاله، بل إِنَّ الانْتحار سُلُوك مُسْتقِيم وطبيعيّ، ولَا يُمْكِن أن يُوصَف سُلُوك آخر بِهَذه اَلصفَة، بل على العكْس، إِنَّ اَلشهِية المحْمومة تُجَاه اَلوُجود نَقِيصَة خَطِرة بِامْتياز. (سيوران، 2018، ص 50)

لذلك مِن المرِيح أن تَعتَقِد أَنَّك ستقْتل نَفسَكَ؛ إذ لَا يُوجَد مَوضُوعٌ أَكثَر رَاحَة، إِنَّ التَّأَمُّل فِي الانْتحار يَكَاد يَكُون مُحَررا مِثْل الفعْل نَفسِه. (Cioran, 2002, P 43) ولا يمكن أن نواجه الانتحار إلا بهذا النوع من الحِجاج، فليس من الطبيعي وضع نهاية للحياة بعدما يتم تفسير إلى أيّ مدى يمكننا الذهاب، إلى أي مدى يمكن أن ننجز أنفسنا.(سيوران 2، 2020، ص 87) فما يود سيوران قوله: إن الانتحار أمر طبيعي، ولكن ليس بالضرورة القيام به فعليا، بل إنّ التفكير فيه يحقق نتيجة مشابهة؛ حيث نتمتع بإيجابيات الانتحار دون أن نجربه.

وَإِن عَقْل المنْتحر بمجرَّد أن يَشعُر بِأنه مَدفُوع فِي هذَا الاتّجاه، لَن يَكُون لَديْه أيُّ دِفَاع ضِدَّ هذَا الدَّافع المفاجئ؛ سَوْف يُعْمِيه وَيهْزه هذَا الكشْف عن حلٍّ نِهائيٍّ لَم تُفكّر فِيه مِن قِبل، فِي حِين أنَّ الإنْسان اَلذِي يميل إِلى الانْتحار، يُمْكِن دائمًا أن يُؤجّل القيَام بِذَلك لِأنَّه يَزِن الأمْر مِرارًا وتكْرارًا مَرَّة تِلْو اَلأُخرى إِلى مَا لَا نِهاية، فهو يَعرِف الفكْرة جيّدًا، مِمَّا يُفْقدهَا الشَّغف.(Cioran, 2002, P 45)

وبناء عليْه فَإِن الطَّرِيقة الوحيدة لِثَني شَخْص مَا عن الانْتحار هِي حثُّه على القيَام بِذَلك، فلن يَغفِر لَك أبدًا نصيحَتك، وسوْف يَتَخلَّى عن مُخَططِه أو يُؤجّل تنْفيذه، وسيعتبرُك عَدُواً وَخائِناً، لِأَنّه كان يَعتَقِد أَنَّك تَندَفع لِمساعدته وإنقاذه، ولَا يرى فِي حِرْصِك أَكثَر مِن العدَاء.(Cioran, 2002, P 55)

كمَا يرى سِيورَان أنَّ الَّذين لَا يُفكِّرون فِي المَوْتِ والانْتحار، يُصْبحون أَكثَر ثِقة ويقينًا، وَهُو أَمْر سَلبِيّ؛ حيث يَحُول دُون أيْ إِمْكانيَّة لِلتَّغْيير، بيْنمَا الَّذين ينْشغلون بِالْمَوْتِ والانْتحار، هُم أَشخَاص شكَّاكون وقادرون على قَتْل أيّ جَوانِبٍ فِي أَنفسِهم؛ حيث تفْكيرهم فِي المَوْتِ يُغيّر شخْصيَّاتهم، ويسْمح لَهُم بتغْيير أَنفسِهم بِطرق لَا يَستطِيع الآخرون القيَام بِهَا، لِأَنَّهم يعيشون بِشَكلٍ أَكثَر وعْيًا ومنْطوون على صِفاتِهم، مِمَّا يجْعلهم أَكثَر وَاقعِية. (Trujillo, 2021, P 220)

6-اَلْحَيَاة تَافِهَةٌ وَالْمَوْتُ تَافِهٌ أَيْضًا.(دَحْضُ اَلِانْتِحَارِ)

لقد قَدَّم سِيورَان اَلعدِيد مِن اَلحُجج لِدَحض فِكْرَة الانْتحار، مِن أهمِّهَا فِكْرَة العدميَّة اَلتِي تُنْكِر وُجُود خَالِقٍ لِلْكوْن، فلو كان هذَا العالم صادرًا مِن إِلهٍ كريمٍ، لَكَان الانْتحار جُرأَة واسْتفْزازًا لَه، وَلكِن بِمَا أنَّ هُنَاك الكثير من الأسْباب اَلتِي تجْعلنَا نَعتَقِد أنَّ هذَا العالم هُو مِن عمل إِلهٍ ثانويّ، فَمِن الصَّعْب تخيل ضرورة مواَجِهة هَذِه المشْكلة، بِمَا أَنَّه لَا يُوجَد إِلَه نتجنَّبه.(Cioran, 2002, P 50)

أَمَّا اَلحُجة الأَكْثر اِنْسجامًا مع أفْكاره، فَهِي تأْكيده عدِّم التَّفْرقة بَيْن المَوْتِ والْحياة، فالْمَوْتُ يَبدُو تَافِها والْحياة تَافِهة أيْضًا.(سيوران، 2010، ص 165) ولأجْل هذَا لَا يَنتَحِر إِلَّا المتفائلون، لِعَدم قُدْرتِهم على الاسْتمْرار فِي التَّفاؤل، أَمَّا الآخرون فليْس لَديهِم مُبررَات لِلْموْتِ، وَهُم أصْلا لَا يمْلكون مُبررَاتٍ لِلْحيَاة أصلا.(سيوران، 2003، ص 114) بِكلمَاتٍ أُخرَى، لَا يَنتَحِر إِلَّا الَّذين ينْتظرون شيْئًا مِن الحيَاة، أَمَّا الَّذين لَا يعْبئون بِهَا فلَا فِرق لديهِم بَيْن الحيَاة والْمَوْتِ.

وعليه سَواء قُمْنَا بِالتَّخَلُّصِ مِنْ أَنْفُسِنا أم لَا، كُلَّ شَيْءٍ يَبْقَى دُونَ تَغْيِيرٍ.(Cioran, 2002, P 46) وبناء على ذَلِك فَإِن إِيقَاف الحيَاة، لَا يَقِل عَبَثيَّة ولَا مَعْنى مِن اِسْتمْرارهَا، فَهُو لَا يَدرِي لِماذَا يَحيَا، ولَا يَعرِف أيْضًا لِماذَا عليْه أن يُوقف الحيَاة. (سيوران 1، 2020، ص 53) وَعلَى الرَّغْم مِن عدم وُجُود فَارِق بَيْن الحيَاة والْمَوْتِ، إِلَّا أنَّ هُنَاك فارقًا وحيدًا وَهُو أنَّ المَوْتَ يقرفنَا أَكثَر مِن الحيَاة، حتى وإن كنا لا نعرف سَبب وُجودِنَا. (سيوران 1، 2020، ص 82)

وَلذَلِك لَا يُوجَد جواب على اِسْتمْرار البشر، إِلَّا أنَّ اَللَّاشَيْء يَمتَد لِيشْمل كُلُّ الأفْعال، وَهُو مَا يُفسِّر الحلْف اَلذِي يعْقده الفانون ضِدَّ الحيَاة حَتَّى يَتَحوَّل إِلى كَينُونة، فَهُو يَعجز عن مَنْح الحيَاة مَعْنى وَلَكنَّه يجْعلهَا تَستَمِر.(سيوران، 2021، ص 38) فمَا جَدوَى الانتحار؟ بِمَا أَن البشر يقدمون عليه دائمًا بَعْد فَوَات اَلْأَوَان.(سيوران، 2015، ص 42) كما إِنَّ التَّخَلُّص مِن الحيَاة بِالانْتحار، قد يحْرمنَا مِن سَعادَة الاسْتِهْزاء بِهَا.(سيوران، 2018، ص 55)

ويعْتَبر سِيورَان الانْتحار ضعْفًا وجبْنًا، كمَا أَنَّه قَرَار لَا يَستَنِد إِلى إِرادةٍ أو مَنطِقٍ، إِنَّه مَيْل مَرضِيّ نَحْو المَوْتِ، فَهُو لَا يَصدُر عن عَدَميَّة الحيَاة، فالنَّاس لَا ينْتحرون لِأَسْبَابٍ خَارجِيةٍ، بل بِسَبب اَللَّاتَوازُن اَلعضْوِيّ الدَّاخلِيّ، فلو كان الانْتحار بِسَبب الخيْبات، مَا كان لِلْمنْتحر رَغَبات وطموحات. (سيوران 1، 2020، ص 81) أيْ أنّ الانتحار والتخلص من عذابات الحياة يُعد طموحا في حد ذاته.

فالانْتحار يَحدُث عِنْدمَا يَرجُو الشَّخْص مِن الحيَاة مَا لَا تَستطِيع أن تَمنحَه أصْلا، وَكَان سِيورَان يُحَمِّل المنْتحر مسْؤوليَّة توقُّعاته الخاطئة، مِمَّا يَعنِي أنَّ اَلحَل اَلذِي يَفترِضه المنْتحر بِإنْهَاء حَياتِه لَا عَلاقَة لَه بِالْمشْكلة أصْلا.

والاعْتناء بِالْمَوْتِ أو الحيَاة، سَوَاء بِالْحفاظ على الحيَاة أو وَضْع حدٍّ لَهَا، سيبْدو مُحَاولَة مُثيرَة لِلسُّخْرية؛ لِأَنَّ الإنْسان عليْه أن يُقيم فِيمَا وَرَاء الحيَاة والْمَوْتِ.(سيوران، 2021، ص 152) ولذلك فإنّ هاجِسَ الانتِحارِ، هوَ سِمةٌ مِن سِماتِ الإنسان الّذي لا يَستطيعُ العيْشَ أوْ المَوْتَ، والّذي لا يَنحرِفُ انتِباهُهُ أبدًا عن هذِهِ الاِستِحالةِ المُزدوجةِ. .(Cioran, 2002, P 48) وَهُو سِمة الشَّخْص اَلذِي يعيش دائمًا خَارج كُلِّ شَيْءٍ، ويَنْتَمي إِلى العالم بِطريقة عَرَضِية فقط؛ ولَا يَتَحمَّل مسْؤوليَّة أيّ عَالَم على الإطْلاق.(Cioran, 2002, P 40)

فِي المحصِّلة يرى سِيورَان أَنَّه حَتَّى لَو كَانَت هُنَاك اَلعدِيد مِن الأسْباب لِلانْتحار، فهناك أيْضًا أَسبَاب لِلاسْتمْرار، مع وُجُود اِختِلاف جَوهَرِي بيْنهمَا، وَهُو أنَّ أَسبَاب الاسْتمْرار تَتَمتَّع بِأقْدميَّةٍ وَصَلابَةٍ أَكبَر، لِأَنَّهَا مُرتبطَة بِأصولنَا، فِي حِين أنَّ أَسبَاب الانْتحار، هِي ثَمرَة تَجرِبة الحيَاة، وَهِي بِالضَّرورة أَكثَر حَدائَةٍ والْحاحًا وَغمُوضاً.(Cioran, 2002, P 44)

كمَا يُوظِّف سِيورَان مأْساويَّة الحيَاة لِيبرّر عدم الانْتحار وليْس العكْس؛ حيث يرى أنَّ أَفضَل حُجَّة لِدَحض الانْتحار، هِي الإقْرار بِأنَّ مُغَادرَة هذَا العالم غَيْر مَنطقِيةٍ، لِأنَّ وُجودَنَا هُو خِدْمَة لِأَحْزانِنَا.(سيوران، 2003، ص 114) فالْمعاناة هِي مُهِمَّة الإنْسان اَلأُولى، لِذَلك لَا يُمْكِن فَهْم لِماذَا يُحَاوِل أن يَتَخيَّل مصيره بِطريقة أُخرَى.(Cioran, 2002, P 41) فالْمعاناة والْمَرض أشدُّ مَشقَّة وَتشبِه الانْتحار كُلُّ يَوْم.(سيوران 2، 2020، ص 104)

ولم يُخوَّل أحد اَلحَق فِي مَنْح شهادَات اَللَّاكَينُونة (الانْتحار)، لِذَلك علينَا أن نَستَمِر فِي التَّنَفُّس وَفِي مُرَاكمَة الحسرات، وسط وَاقع لَم نَرغَب فِيه، وأن نَتَخلَّى عن إِيجَاد أيّ تَفسِيرٍ لِسَبب عِلَّتنَا وهلاكنَا.(سيوران، 2021، ص 119) فَإِذَا كان الهدف الأساسيُّ لِوجودنَا هُو أن نَتعذَّب، فَإِن الفرَار مِن الحيَاة

اَلتِي هِي مَصدَر كُلّ عذاباتنَا يُعَدّ مُخَالفَة لِطبيعة وُجودِنَا.

ولَقد لَجأ سِيورَان إلى مَبدَأ اَلحُرية لِدَحض الانْتحار، فَهُو يعتَبر أنَّ المَلاذ والْعزاء الوحِيد فِي الحيَاة هُو أَنَّه يُمْكننَا تَرْك هَذِه الحيَاة عِنْدمَا نُرِيد ذَلِك، وَهذَا مَا يَجعَل فِكْرة الانتحار إيجابيَّة.(Weiss, 1991, P 34) فالحَقِيقَة بَسِيطَة جِدًّا، كَالنَّظَرِ إلَى سِكِّينٍ وَإِدْرَاك أَنَّ اَلْأَمْرَ يَعْتَمِدُ عَلَيْكَ فَقَطْ فِي اِسْتِخْدَامٍ مُعَيَّنٍ لَهُ، يَمْنَحُكَ إِحْسَاسًا بِالسِّيَادَةِ يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَوَّلَ إِلَى جُنُونِ اَلْعَظَمَةِ.(Cioran, 2002, P 41) وهذا ما يجعل الإنسان يستمر في الحياة لعلمه أنّه يمكنه الانتحار متى شاء، لولا فكرة الانتحار لقتل نفسه منذ البداية.(سيوران، 2003، ص 99)

وَذلِك لِكوْنِنَا ولدنَا فِي سِجْن بِأعْبَاء على أكْتافنَا، تُجَردنَا اَلقُيود مِن كُلّ شَيْء، إلَّا مِن حُريَّة أن نَقتُل أَنفُسنا، وَهذِه اَلحُرية هِي اَلتِي تَمدنَا بِالْقوَّة والْكبْرياء لِلانْتصار على كُلّ الأعْباء، تِلْك اَلحُرية مَوهِبة عَظِيمَة تُمثِّل العزَاء لَنَا، فرغْم بَساطَة الانْتحار، إلَّا أَننَا نُرْجِئ النِّهَاية لِكيْ تَستَمِر حُرِّيَّتَنَا. (سيوران، 2021، ص 67)

كما يعتبر سيوران اَلِانْتِحَار عملا مُفَاجِئا ويتسم بِالْعُنْفِ، والإنسان الخيّر لن يُقدِمُ على الِانتِحارِ، لأنه يَتطلّبُ بعضًا مِن القسوَةِ. فالانتحار لا يقل قسوة ولا عنفا عن القتل، وَمن يُقدِمُ على الِانتِحارِ-إذا توافرت ظُروفًا مُعيّنةً- قد يَقتُلُ غيْرهُ، فالِانتِحار والقتل يَنتميانِ إلى نفسِ العائِلةِ، لكِنّ الِانتِحارَ أكثرُ دِقّةً، لِأنّ القسوَة على النّفسِ نادِرة وَأكثرُ تعقيدًا؛ إضافةً إلى ذلِك فإنّهُ يَتطلّبُ نوْعًا مِن تسمُّمِ الشُّعورِ بِأنّنا مسحوقون والّذي يَأتي نتيجةً لِلوُعيّ.(Cioran, 2002, PP 41-53) لِذَلك يَبدُو الانْتحار حلًّا صعْبًا، يَتَطلَّب القيَام بِه أن يَكُون المرْء مَجنُونا. (سيوران 1، 2020، ص 35)

7-سيوران بين الانتحار سلوكًا والانتحار فكرة

يجب التأكيد قبل كل شيء أن السياق الذي يناقش فيه سيوران إشكالية الانتحار بشكل عام، هو سياق الفكر الغربي الذي كان يمر بذروة العدمية والعبثية، ولذلك وصف سيوران بأنه نبي ذلك العصر، عصر الفراغ والعبث والمعتقلات والانتحار الجماعي.(Johnston, 2009, p 5)

ولقد وصل الغرب إلى تلك المرحلة نتيجة لكل ما مر به من حروب خاصة الحروب العالمية وما تبعها من موت ودمار، وما ترتب عليها من يأس وقلق وفقدان المعنى؛ حيث فقد الإنسان قيمته، بعد أن أصبح قتل الملايين بأكثر الأسلحة فتكا أمرا عاديا، يمكن أن يتخذه أي قائد سياسي أو عسكري.

أما من ناحية خاصة تتعلق بسيوران نفسه، فهي حياته الشخصية التي استمد منها أغلب أفكاره الفلسفية، ذلك لأن مروره بالعديد من الأزمات الأسرية والوجودية، كان له أثر بالغ في تشكل رؤيته الفلسفية، وَحتَّى عِنْدمَا يُحَاوِل تَجنُّب اَلحدِيث عن حَياتِه، تُرْغِمه بقايَا الغريزة على التَّشَبُّث بِالْكلام، فالصَّمْتُ لَا يُطَاق(Cioran, 2011, p 82)

ويشير سيوران بشكل واضح إلى أنه ناقش إشكالية الانتحار أثناء مروره بأزمة نفسية كبيرة كادت تدفعه نحو الانتحار، خاصة عند تأليف كتابه على مرتفعات اليأس الذي يشير عنوانه بوضوح إلى الخطوط العريضة التي تتصدر الصحف الرومانية بسبب زيادة معدلات الانتحار فيكون العنوان الأساسي من على مرتفعات اليأس ألقى أحد الشباب بنفسه فمات منتحرا.(Cioran, 1992, p xv)

ويمكن القول بشكل عام إن طرح سيوران لإشكالية الانتحار يعاني خللا كبيرا وتناقضات جسيمة لم يستطع حلها.(Hasmatuchi, 2021, p 83) وذلك لكونه يرى أن التفكير في الانتحار غير مجد، وفي الوقت ذاته يرى أنه يرتفع بالذات المتألمة، كما أن نصوصه لا تقدم تفسيرا منطقيا وحلا مقنعا لهذه التناقضات.(Trujillo ,2021, p 220)

فقد كان سيوران ينظر إلى الانتحار على أنه خلاص (Acquisto, 2014, p 6) ولعله كان الوجودي الوحيد الذي اعتبر الانتحار الطريق الوحيد للتخلص من معاناة الحياة. (Lăcrămioara,2010, p 50) كما جعل من إمكانية الانتحار أزمة تلغي حتى الزمن بالنسبة للإنسان، لأن إمكانية الانتحار قائمة في كل لحظة، ومن ثَمَّ كل لحظة قابلة لأن تكون اللحظة الأخيرة في الحياة.(Depierre, 2024, p 9) وبذلك فقد حاول سيوران أسوة ببقية الفلاسفة العدميين عقلنة فكرة الانتحار قياسا إلى الألم واليأس والمرض والموت التي تهيمن على الحياة الإنسانية.

ومع غياب الرادع الديني يرى سيوران أن الانتحار سلوك عقلي وأخلاقي أيضا، بل إن الاستمرار في الحياة والتشبث بها هو السلوك غير العقلاني وغير الأخلاقي، وهو ما يتطلب أن تطرح حوله التساؤلات، لمعرفة السبب الكامن وراء استمرار الناس في الحياة رغم ما فيها من ألم ومرض وأنها تنتهي بالموت في كل الأحوال.

إضافة إلى أنه ربطه من جهة أخرى بالحرية الإنسانية، في سياق تأكيده بوصفها فيلسوفا وجوديا على أهمية الحرية والاختيار، فالانتحار تعبير فردي حر عن رفض المأساة الكونية.(BOLEA, 2021, 150)

من جهة أخرى، ولأسباب بعضها ذاتي، وبعضها الآخر يرجع للغضب العام والنقد الموجع الذي وجه لنصوصه، باعتبار أنها نصوص فلسفية وليست مجرد خواطر شخصية، قرر سيوران إعادة النظر في أفكاره السابقة التي يمجد فيها الانتحار بل ويجعله مبرر أخلاقيا ومنطقيا، ومن ثَمَّ يزدري الحياة ومأساويتها وعبثيتها.

معتبرا أن الرغبة في الانتحار أو القضاء على الذات هو مجرد موقف أقرب ما يكون إلى الموقف الصوفي الذي يعبر به الإنسان عن عدم رغبته في ملذات الحياة، بما في ذلك الحياة نفسها، والتفكير في الانتحار هو وسيلة يستخدمها الإنسان لكبح جماح الذات، حتى لا تسرف في طلب المال والشهرة، دون أن يعني ذلك القضاء عليها بشكل نهائي، بل إن الانتحار يبقى مجرد (فكرة) حاضرة دائما في عقل الإنسان دون أن تتحول إلى سلوك عملي.

وعلى الرغم من أن سيوران هو أكثر فلاسفة القرن العشرين جرأة في تعبيره عن فائدة فكرة الانتحار فقد كان ينظر إلى الانتحار على أنه استراتيجية –شأنه في ذلك شأن نيتشه وبلانشو- لكي يجعل الإنسان بمقدوره تحمل مأساوية الحياة، دون أن يجعل من الرغبة في الخلاصة سببا كافيا لجعل

الانتحار سلوكا ممكنا. (Bennett, 2017, pp 10,11)

يضاف إلى ذلك أن سيوران اعتبر الانتحار شكلا من أشكال موت الإله أو قتله (BOLEA, 2021, 150) ولذلك يعتبر الانتحار أو ما يطلق عليه الانتحار الجميل beautiful suicide هو في الأساس إهانة موجهة إلى العناية الإلهية، وهو الانتحار الذي يقوم به الإنسان بدون سبب واضح سوى الشعور بالعدم.(Ribitzky, 2024, p 284)

إن إمكانية الانتحار بالنسبة لسيوران شهدت تحولا كبيرا، فلم تعد مجرد رغبة في وضع حد لحياة الفرد بسبب ما يعانيه فيها من ألم وحزم ومرض، وبسبب نهايتها الأكثر بشاعة من خلال الموت، بل إن فكرة الانتحار وقدرة الإنسان على القيام به، هي دلالة على أن الحياة مفرغة من المعنى، فلو كان للحياة معنى، ما كان بمقدور الإنسان أن يتحكم فيها ويضع حدا لها، ومن ثَمَّ لا تعدو فكرة الانتحار كونها حجة في سلسلة حجج يستخدمها سيوران لتأكيد فكرة العدم، في سياق تأكيد انهيار الحضارة الغربية برمتها.

ويمكن القول إن تلك الحيل والوسائل التي ابتكرها سيوران للتخفيف من ألم الحياة وتجاوز إشكالية الانتحار، مثل الكتابة والموسيقى، لم تكن كافية بل هي مجرد مسكنات مؤقتة. (White, 2023, p 41)بل إن كفره بالفلسفة ونفوره منها كان بسبب عجزها عن حل إشكاليات الوجود الأساسية مثل الموت والانتحار، ولذلك فشلت في إيجاد إجابات مقنعه تساعده في تجاوز أزمته النفسية والفكرية التي ارتبطت بمحاولته الانتحار.

خاتمة

لقد شغلت إشكالية الانتحار الفكر الفلسفي في الحقبة المعاصرة، وهي بمثابة ردة فعل طبيعية تجاه حالة العدمية واليأس التي سيطرت على الفكر الغربي خاصة بعد ما عاشه من حروب وفراغ روحي، وتفرق الفلاسفة رغم اتفاقهم على رفض الانتحار، على ثلاث فرق أساسية فيما يتعلق بإشكالية الانتحار، كل حسب الخلفية التي يستمد منها حججه، وذلك في سياق إجابتهم على السؤال الأساسي "هل الحياة جديرة بأن تُعاش؟" و"هل يحق للبشر التخلص من حياتهم"؟

فالفريق الأول يرى أن الرادع دِينيٌّ صرف، لأنّ روح الإنسان ليس ملكا له، بل ملك للخالق، ولا يحق للإنسان التصرف فيها، بينما ذهب الفريق الثاني إلى القول إنّ القيم الأخلاقية تحتِّم على الإنسان التحلي بالصبر والشجاعة والتخلي عن الجبن لمواجهة الحياة، والفريق الثالث سلب ملكية الروح من الإنسان لأنها ملك للدولة والجموع، ومن ثَمَّ لا يحق للفرد التصرف فيها وإلا وقع تحت طائلة القانون.

ولقد جاءت أفكار سيوران متسقة مع الرؤية العامة لحالة التشاؤم واليأس، ومتفقة بشكل كبير مع الطرح العبثي والوجودي؛ حيث أيد في نصوصه المبكرة فكرة الانتحار، واعتبرها سلوكا طبيعيا ومنطقيا؛ لكونه يؤكد أن الحياة غير جديرة بأن تعاش، بل إن الاستمرار في الحياة هو بمثابة انتحار بطيء، ومن ثَمَّ يحق للبشر التخلص من أنفسهم هروبا من الألم والمرض والشيخوخة.

ولم يُخفِ سيوران تعجبه من عدم شيوع فكرة الانتحار؛ لأنّ كل المبررات تدفع نحوه، ورجّح أن يكون السبب وراء عدم لجوء البشر إلى الانتحار هو سيطرة الأفكار والأطروحات الدينية، التي تعزيهم إذ تعطي للحياة معنى وتغريهم بحياة أخرى، إضافة إلى جبن البشر وعدم سرعتهم في انتهاز فرص الانتحار، بسبب تعلقهم بالأمل وإعطاء الحياة فرَصاً أخرى لعلها تصبح أفضل.

إلا أنّه تراجع عن كل تلك الأفكار التي فهم منها أنها دعوة صريحة للانتحار، معلّلا ذلك بأنّه كان يفكر بصوت عال فقط، وأنّ التنظير الفلسفي لفكرة الانتحار -الذي انساق فيه خلف الأفكار الوجودية "لسارتر وكامو"- يختلف تماما عن الممارسة العملية، بل هو محاولة لتحليل الفكرة بأسلوب فلسفي وبيان مواطن قوتها وضعفها.

معتبرا أنّ تلك الطريقة هي أفضل وسيلة لمقاومة الانتحار، فلا بد أن يكون لدى الإنسان إجابات مقنعة يردّ بها على نفسه عندما يفكر في الانتحار، حتى إنّه يمكن أن يجد مزايا للتفكير في الانتحار تتمثل في تقوية الواعز الدِّيني وجعل من الإيمان والروحانيات أولوية لدى الفرد.

ومن جهة أخرى، يرى أنّ الانتحار لا يتسق مع الأفكار العبثية، لأنه يعطي معنى للموت، بينما في الحقيقة لا معنى للحياة ولا للموت فكلاهما تافه، وأي عمل يقوم به الإنسان تجاه الحياة أو الموت، يعطي قيمة لهما، والسبب في الاستمرار في الحياة هو أنها أسبق على الموت، وهو السبب الوحيد الذي يعطيها الأفضلية، إضافة إلى أن الانتحار يضع حدا للمعاناة، وهو ما يفقد الحياة معناها؛ إذا اعتبرنا أنّ المعاناة هي التي تعطي قيمة لحياة البشر.

ومن الواضح أن سيوران كان يعالج إشكالية الانتحار بشيء من المزاجية، وهو ما جعل أفكاره حولها متذبذبه، كما أنه رضخ للضغوط التي تعرض لها نتيجة للانتقادات الحادة التي وجهت له، على عكس ما يدعي بأنه لا ينساق خلف آراء القراء والنقاد، وكل تلك المعطيات جعلته يتراجع عن أفكاره عن الانتحار الذي أقر أكثر من مرة أنه أقدم عليه، ليخلص في النهاية إلى أن فكرة الانتحار ترتبط بفكرة الحرية، كما ترتبط بالعبثية والمعاناة، وهي أفكار لا يؤمن بها سيوران بصفة عامة، كما أن العودة للعبثية والتشاؤمية التي انطلق منها جعلت أفكاره وكأنها تدور في حلقة مفرغة.

المصادروالمراجع

أفلاطون 1، ا . (2001). *محاورات أفلاطون*القاهرة: مكتبة الأسرة.

أفلاطون 12. (2001). محاورة فيدون. بيروت: أفريقيا الشرق.

بوبر، ك. (1998). الحياة بأسرها حل لمشاكل. الإسكندرية: منشأة المعارف.

حميش، س. (1988). معهم حيث هم. بيروت: الفارابي.

زنار، ح. (2009). المعنى والغضب. الجزائر: الاختلاف.

سبينوزا، ب. (2009). علم الأخلاق. القاهرة: المنظمة العربية للترجمة.

سيوران، إ . (2003). المياه كلها بلون الغرق. بيروت: منشورات الجمل.

سيوران، إ. (2010). تاريخ ويوتيوبيا. بيروت: منشورات الجمل.

سيوران، إ. (2015). مثالب الولاد. بيروت: منشورات الجمل.

سيوران، إ. (2018). اعترافات ولعنات. بيروت: منشورات الجمل.

سيوران 1، إ. (2020). على مرتفعات اليأس. الجبيل: منشورات الصفحة سبعة.

سيوران 2، إ. (2020). غسق الأفكار.. الجبيل: منشورات الصفحة سبعة.

سيوران، إ. (2021). رسالة في التحلل. بيروت: منشورات الجمل.

شوبنهاور، آ. (2019). تهمة اليأس. الجبيل: دار الصفحة.

كامو، ا. (1938). الإنسان المتمرد. باريس: منشورات عيودات.

كامو، ا. (1983). أسطورة سيزيفبيروت: منشورات مكتبة الحياة.

كوبلستون، ف. (2010). تاريخ الفلسفة . القاهرة: المركز القومي للترجمة.

نيتشة، ف. (2002). إنسان مفرط في إنسانيته. بيروت: أفريقيا الشرق.

نيتشة، ف. (2013). الفجر. الدار البيضاء: أفريقيا الشر.

نيتشه، ف. (2010). غسق الأوثان. بيروت: منشورات الجمل.

نيتشه، ف .(2001). إنسان مفرط في إنسانيته 2 بيروت: أفريقيا الشرق.

نيتشه، ف. (1993). العلم المرح. الرباط: أفريقيا الشرق.

هيغل، ج. (1996). أصول فلسفة الحق. القاهرة: مكتبة مدبولي.

References

Acquisto, J. (2014). Falling into Salvation in Cioran. *Studies in 20th & 21st Century Literature*, 38(1).

Bennett, A. (2017). *Literature and Suicide from James Joyce to David Foster Wallace.* Cambridge University Press

Bolea, F. (2021). TOWARD THE 'NEVER-BORN'. MAINLÄNDER AND CIORAN. *Revue Roumaine de Philosophie,* 65(1).

Cioran, E. (1992). *On the Heights of Despair*. University of Chicago Press

Cioran, E. (2011). *The temptation to exis*t. New York.

Cioran, E. (2012). *All gall is divided.* New York: Arcade Publishing.

Cioran, E. (2002). *The New Gods*. Chicago: The University of Chicago Press.

Depierre, L. (2024). Cioran and Time, Falling from Nietzsche. *Journal for Continental Philosophy of Religion.*

Hasmatuchi, G. (2021). CIORAN AND THE EPISTOLARY MANIA. *Revue Roumaine de Philosophie*, 65(1).

Hume, D. (2001). *ESSAYS ON SUICIDE AND THE IMMORTALITY OF THE SOUL*. Whitefish: Kessinger Publishing.

Johnston, I. (2009). *Searching for ciorna*. Indiana University Press.

Lăcrămioara, L. (2010). Moral Problem of Suicide and its Relation to Human Freedom. *European Integration - Realities and Perspectives*, 5.

Ribitzky, T. (2024). *The Seduction of Pessimism in the Novel Eros, Failure, and the Quarrel with Philosophy*. Lexington Books.

Trujillo, G. M. (2021). The Benefits of Being a Suicidal Curmudgeon: Emil Cioran on Killing Yourself. *The Journal of the Southwestern Philosophical Society*, 37.

Weiss, J. (1991). *Writing at Risk: Interviews in Paris with Uncommon Writers*. Lowa city: University of Iowa Press.

White, K. (2023). *The philosophy of E.M. Cioran and its relation to post-Christian philosophy*. London: King's College.